حوليات آداب عين شمس المجلد 51 (عدد أكتوبر – ديسمبر 2023)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

الصُّوَرُ البَيَانيَّةُ لخروج الكافرين من أجداثِهم في القرآن الكريم دراسة موضوعيَّة

جمال عبد الرحيم صالح أبو رمان*

التفسير وعلوم القرآن الكريم– أستاذ مساعد– جامعة مؤتة– كلية الشريعة– قسم أصول الدين
AbuRomman@Mutah.edu.jo

تاريخ الاستلام: 2022/07/31
تاريخ قبول البحث: 2022/08/24
تاريخ النشر: 2023/12/30

المستخلص:

أخبرنا الله ــ عزَّ وجلَّ ــ في القرآن الكريم عن حقائق ثابتة، لا تتغيَّر ولا تتبدَّل، ومن تلك الحقائق حقيقة الموت، فذكر لنا ــ سبحانه ــ أنَّ كل نفس ستموت، وأنَّه ــ سبحانه ــ سيحاسب الخلائق كلَّها يوم القيامة، ومن تلك الحقائق ما يتعلق بكيفية خروج الكافرين من أجداثهم، فعرض الباحث الصُّور البيانيَّة لخروج موتى الكافرين، وبيّن أوجه تنوّعها في القرآن الكريم، وحِكم ذلك التنوّع.

الكلمات الدالّة: الصُّورة البيانيّة، البلاغة، الأجداث.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب – جامعة عين شمس 2023.

تمهيد:

إنّ فهم اللغة العربيّة يُعد الأساس في فهم القرآن الكريم، فهي الوعاء الذي جعله الله تعالى حاملاً لكتابه العظيم، ومن المعلوم أنّ الله ــ عزّ وجلّ ــ قد هيّأ هذه اللغة لهذا الأمر الجَلل، وقد أَوْدَعَ الله تعالى فيها من أسرار التعبير، ومعالم الجمال ما أوْدع، وفيها من كنوز الفصاحة والبلاغة ما لا يعلمه إلا الله تعالى، وإنّ من تلك الكنوز علم البيان، الذي نشأت عنه الصُّورة البيانيّة، والذي هو أحد علوم البلاغة، وهذا تعريفُ علمِ البلاغة وعلمِ البيان، يَتْبَعُهُ تعريف الصُّورة البيانيّة:

المطلب الأول: تعريف(علم البلاغة):

الفرع الأول: تعريف العِلْم في اللغة:

العلم في اللغة: نقيض الجهل(ابن فارس،1988، مادة(علم)).

الفرع الثاني: تعريف العِلْم في الاصطلاح:

العلم في الاصطلاح: هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع، وقال الحكماء: هو حصول صورة الشيء في العقل، والأول أخص من الثاني، وقيل: العلم هو إدراك الشيء على ما هو به، وقيل: زوال الخفاء من المعلوم، والجهل نقيضه، وقيل: هو مستغنٍ عن التعريف، وقيل: العلم: صفة راسخة تدرك بها الكليات والجزئيات، وقيل: العلم، وصول النفس إلى معنى الشيء(الجرجاني، 1983، ص155).

الفرع الثالث: تعريف البلاغة في اللغة: قال ابن فارس:(الباء واللام والغين أصلٌ واحدٌ، وهو الوصول إلى الشيء، تقول: بَلَغْتُ المكان، إذا وصلتَ إليه)، فالبلاغة من حيث المعنى اللغوي لها علاقة بمعنى الوصول إلى شيء ما، سواء كان مكاناً أو هدفاً معنوياً.

الفرع الرابع: تعريف(علم البلاغة) في الاصطلاح:

هو العلم الذي يبحث في مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته(القزويني، 1988،ص13).

المطلب الثاني: تعريف عِلْم البيان والصورة البيانيّة:

سبق تعريف كلمة(عِلْم) في المطلب السابق، ويبقى تعريف كلمة(البيان)، وتعريف مصطلح(علم البيان)، وأبدأ بتعريف كلمة(البيان):

الفرع الأول: تعريف البيان في اللغة:

البيان في اللغة: الوضوح والانكشاف(ابن فارس،1983، مادة(بَيَنَ))، والفصاحة واللَّسَن(ابن منظور، 1414هـ، نفس المادة).

الفرع الثاني: في الاصطلاح:

البيان في الاصطلاح: إظهار المتكلم المراد للسامع(الجرجاني،1983، نفس المادة).

الفرع الثالث: تعريف(علْم البيان) في الاصطلاح:

يعرّف (علم البيان) في الاصطلاح بأنه: عِلم يُعرَف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة(القزويني،1988، ص201).

الفرع الرابع: تعريف(الصورة البيانيّة):

تعرّف(الصورة البيانيّة) بأنها: التَّعبير عن المعنى المقصود بطريق التَّشبيه، أو المجاز، أو الكناية، أو الاستعارة، أو تجسيد المعاني(مختار، 2008، ص1334).

المقدّمـــــة:

الحمد لله، والصّلاة والسّلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد،

فإنّ ممّا لا شك فيه أنّ القرآن الكريم كلام الله تعالى، أنزله هداية للناس، وبصّرهم في أمور دينهم ودنياهم، وأخبرهم فيه عن حقائق يقينيّة، والتي منها حقيقة الموت، وحقيقة البعث بعد الموت، وقد بيّن لنا ــ سبحانه ــ أحوال الناس عند خروجهم من أجداثهم أحياء على وجه الأرض، بيّن ذلك بتصوير بيانيٍّ بديع، فحاول الباحث أنْ يتتبّع جميع تلك الأحوال، في جميع القرآن الكريم؛ ليُظهر معالم الصّور البيانيّة العميقة الدقيقة الشاملة، التي عرض من خلالها القرآن الكريم تلك الأحوال.

لم يكن الغرض من هذه الدراسة إثبات البعث بعد الموت، فهذا له موضعٌ آخر، إنما الغرض إظهار الصُّور البيانية التي بيّنها لنا القرآن الكريم فيما يتعلق بأحوال الموتى عند خروجهم من أجداثهم يوم القيامة، وقدِ اقتصر البحث على موتى الكافرين، بحسب ما جاء في القرآن الكريم.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة في محاولة عرض صور بيانية متكاملة لكيفية خروج موتى الكافرين من أجداثهم يوم القيامة، فقد تعددت صور التشبيه التي بينتها آيات القرآن الكريم حول ذلك، وهو ما فصّلته هذه الدراسة.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى بناء تصوّر واضح حول قضيّة غيبية من قضايا اليوم الآخر في القرآن الكريم، هذه القضية متعلقة بكيفية خروج الكافرين من أجداثهم يوم القيامة، ولم تهدف هذه الدراسة إلى عرض أدلة البعث، وإثبات قدرة الله تعالى على إحياء الموتى، فهذا جانب آخر.

مشكلة الدراسة:

حاولت هذه الدراسة الإجابة على الأسئلة الآتية:

ما الصُّوَر البيانية التي عرضها القرآن الكريم حول قيام الكافرين من أجداثهم يوم القيامة؟ وهل كان بينها تعارض في رسم صورة ذلك القيام؟ وما الأثر المترتب على بيان القرآن الكريم لتلك الصور البيانية؟.

الدراسات السابقة:

بعد البحث في محركات البحث المعروفة، ودور الكتب والنشر والرسائل العلمية الموجودة على الشبكة العنكبوتية، لم أجد سوى بحث واحد يتعلق بموضوع دراستي، كتبه الدكتور زياد الدايح ــ وهو من كلية الآداب بالجامعة العراقية ــ بعنوان(آيات الأجداث في القرآن الكريم/ دراسة تحليلية)، وقد قرأته ووجدت فيه نواقص من جوانب عدة، منها:

1. عندما تحدّث د. زياد عن الوجوه البلاغية اكتفى بالحديث عن آيتين فقط، هما قوله تعالى: (خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ)(القمر/ 7)، وقوله تعالى: (يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ)(المعارج/ 43)، ولم يذكر الآيات السابقة واللاحقة التي لها علاقة واضحة بتلكما الآيتين، فآية القمر لها

علاقة واضحة بالآية التي قبلها والآية التي بعدها، وهذه هي الآيات:(فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ (6) خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ (7) مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ (8))(القمر/6_8)، وآية المعارج لها علاقة واضحة بالآية التي بعدها وهي قوله تعالى:(خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ)(المعارج/44). وهو ما لم يذكره الدكتور زياد في بيانه للوجوه البلاغية، ولم يذكر الوجوه البلاغية كذلك التي في قوله تعالى: (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ (51) قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ)(يس/51 ــ52).

2. يذكر بعض الأحيان قراءات قرآنية شاذة ولا ينبه إلى شذوذها، كقراءة(خُشّعٌ) بالرفع في قوله تعالى:(خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ)(القمر/7)، وهي قراءة لا أصل لها في كتب القراءات القرآنية، وإنما اكتفى د. زياد بعزوها إلى كتابين من كتب التفسير، هما الكشاف وروح المعاني، ولا شك أن المصادر الأولى المعتمدة في القراءات القرآنية هي كتب القراءات القرآنية دون كتب التفسير، ومن القراءات الشاذّة التي ذكرها ولم ينبّه إلى شذوذها قراءة(نَصَب) بفتح النون والصاد، وذلك في قوله تعالى: (يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ)(المعارج/ 43)، فقراءتها المتواترة بضم النون والصاد. وغيرها من القراءات الشاذة التي ذكرها ولم ينبّه إلى شذوذها.

3. ذكر د. زياد في (ص203) من بحثه خبراً غريباً، فقال:(ورُوِي في الخبر (أنّ الصُّوْر فيه صورة الناس كلهم))، وعزاه إلى مسند الإمام أحمد، وعزوه غير صحيح، فقد رجعت إلى المسند فلم أجده، ولم أجده في أي مصدر من مصادر كتب الحديث.

وهناك نواقص أخرى؛ لذا وجدت من المناسب أن أكتب في هذا الموضوع، محاولاً التفصيل فيه من جميع جوانبه المتعلقة به، والله الموفق للصواب.

وقد جاءت هذه الدراسة مقسّمة على مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة، فيها أهمّ النتائج، وكل مبحث منها قد تضمّن صورة بيانيّة من صور خروج الموتى من أجداثهم، جاءت على النحو الآتي:

المبحث الأول: الصّورة البيانيّة الأولى: نَسَلان الموتى عند خروجهم من الأجداث.

المبحث الثاني: الصّورة البيانية الثانية: سرعة الموتى عند خروجهم من القبور.

المبحث الثالث: الصّورة البيانية الثالثة: التشبيه بالجراد المنتشر.

المبحث الرابع: الصُّورة البيانية الرابعة: تشبيههم عند الخروج بحالهم عند القيام إلى آلهتهم.

المبحث الأول:

الصّورة البيانية الأولى: نَسَلان الموتى عند خروجهم من الأجداث:

قال تعالى:} وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ (51) قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (52) إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ (53) فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ {(54)(يس/51ــ54).

هذه الآيات الكريمة من سورة(يس)، وهي سورة مكية، ومن المعلوم أنّ قضيّة البعث بعد الموت من أهمّ القضايا التي حاول المشركون التشكيك فيها، محاولين بذلك إبطال هذا الدين، وإنكار الحساب والجزاء، وتكذيب النبيّ محمّد ــ ﷺ ــ، والاستهزاء به فيما أخبرهم به من قدرة الله تعالى على البعث، فجاءت هذه الآيات الكريمة تخبرنا بالنفخ في الصُّور يوم القيامة، وتبيّن كيفية خروج الموتى من أجداثهم، وليس هذا فقط، بل وتخبرنا بما سيقولونه لحظة خروجهم من تلك الأجداث.

ومناسبة هذه الآيات للآيات التي قبلها، أنّ الآيات التي قبلها تحدّثت عن بعض صور قدرة الله تعالى في الكون، وفيما يتعلق بمعيشة الناس في حياتهم، فقد تحدّثت الآيات السابقة عن الأرض الميْتة يحييها الله تعالى فتُنبت، وعن الليل يَسلخ الله منه النهار فيُظلِم، وعن الشمس تجري بتقديره، وعن القمر ينير بتدبيره، وعن الفُلْك تسير في البحر محمّلة بالأثقال، وعن الدواب التي خلقها الله تعالى ليركبوا عليها، فكل هذا من قدرة الله تعالى، وقد أمرهم بعد ذلك بتقواه؛ لتجنب عقابه، إلاّ أنهم لجّوا في طغيانهم بإصرارهم على التشكيك بيوم القيامة، فجاءت تلك الآيات الكريمة تلجم أفواههم، وتخبر عن حالهم في ذلك اليوم العصيب.

بدأت الآيات الكريمة بقوله تعالى:}وَنُفِخَ فِي الصُّورِ {، هكذا بصيغة الماضي}وَنُفِخَ {؛ لتحقُّق وقوعه(أبو السعود، 1994، ص171) ، فإنّ ما أراده الله تعالى كائنٌ لا محالة، وهذه النفخة هي نفخة البعث(الطبري، 1997، ص450) ، وقد بيّن النبيّ ــ ﷺ ــ أنّ الصُّور قَرْن، فقد أخرج الإمام الترمذي ــ رحمه الله ــ بسنده عن النبيّ ــ ﷺ ــ أنّه قال:(كيف أَنْعَمُ وصاحبُ القَرْنِ قد التقم القَرْنَ، واستمَعَ الإذْن متى يُؤْمَرُ بالنفخ فَيَنفُخ)، فكأنَّ ذلك ثَقُل على أصحاب النبي ــ ﷺ ــ، فقال لهم:(قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا)(الترمذي، 1975، ص620)، وكلمة}وَنُفِخَ {مبنيّة لما لم يُسَمَّ فاعله، وفاعل النفخ في الصُّور هو المَلَك الموكّل بذلك بأمر الله تعالى، وقوله تعالى:}فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ {هكذا بحرف(الفاء) }فإذا {وهذا يدل على سرعة نَسَلانهم من الأجداث بعد النفخ مباشرة، قال سيبويه:(والفاء تضم الشيء إلى الشيء كما فعلت الواو، غير أنها تجعل ذلك متسقاً بعضه في إثر بعض)(سيبويه، ص217)، و}الأجداث { جمْع(جدَث)، وهو القبر(ابن فارس، 1983، مادة(جَدَثَ))، والجدَث صَوْتُ الحافِرِ والخُفِّ والمَضْغ للَّحْم(الصاحب ابن عباد، مادة(جدث))، وقد فرّق الدكتور فاضل السامرائي بين(القبر) وبين(الجدَث) بالنظر إلى استعمال كلٍّ منهما في السياق القرآني، فرأى أنّ لفظ(الجدَث) مذكور في القرآن الكريم في سياق الحركة والإسراع، وأمّا لفظ(القبر) فمذكور في سياق

الهمود والجمود(السامرائي، فاضل، برنامج لمسات بيانية، يوتيوب)، وممّا يؤكّد صواب ما ذهب إليه الدكتور فاضل، النظر في الآيات التي ورد فيها كلٌّ من ذلكما اللفظين، فقد وردت كلمة(الأجداث) في القرآن الكريم ثلاث مرات، الأولى: قوله تعالى:}وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ {(يس/43)، وهي موضوع هذا المبحث، فكلمة }يَنْسِلُونَ {تدل على الحركة والإسراع ــ كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى ــ، والثانية: قوله تعالى: }خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ{ (القمر/7)، وكلمات}يخرجون {و}جراد منتشر {تدلّ على الحركة والسرعة، والثالثة: قوله تعالى: }يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ { (المعارج/43)، وكلمات }يخرجون{ و}سراعًا{ و}يوفضون{ تدلّ على الحركة والسرعة، كما سيأتي تفصيله في حينه ــ إنْ شاء الله ــ، أمّا مشتقات كلمة(القبر) فقد وردت في ثمان آيات، كلها في سياق السّكون والجمود والهمود، منها قوله تعالى: }وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ{ (فاطر/22)، فقد ذكر الله تعالى في الآية الأموات، وذكر فيها القبور، ومِن أكثر ما يميّز الأمواتَ الهمودُ وعدمُ الحركة، ومنها قوله تعالى: }ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ{(عبس/21)، وهي في سياق مشابه كذلك، وكذلك باقي الآيات التي ذكرت كلمة(القبر) بأيّ مشتقٍ من مشتقاتها فليس فيها ما يَذكر حالة خروج الموتى منها، بخلاف الآيات التي ذكرت كلمة(الأجداث)، فالقبر(اسم يدلُّ على حدوث الإقبار للميِّت بعد موته، فهو قَبْرٌ بدخول صاحبه فيه، وجَدَثٌ بخروجه منه عند البعث)(الدوري، ص131)، وقد ذكر الدكتور فاضل السامرائي أنّ استعمال القرآن الكريم لكلمة}الأجداث{ عند خروج الموتى، له علاقة بأصل دلالة الكلمة عند العرب، فالكلمة في أصل معناها ــ وقد ذكره الباحث في أوّل تفسير الآية ــ تدل على صوت الحافر والخُفّ ومضغ اللّحم، فاستعمل القرآن الكريم الكلمة التي لها علاقة بالصوت والحركة وهي}الأجداث{ دون الكلمة التي لا تدلّ على ذلك وهي}القبور{، هذا من جانب ومن جانب آخر كأنّ الأرض قد أكلت أجساد الموتى ومضغتها(السامرائي، برنامج لمسات بيانية)، وقوله تعالى:{إِلَى رَبِّهِمْ }له أثرٌ بالغٌ في تصويره لشدّة الحسرة والضيق والكرب الذي سيجده أولئك الذين ضلوا عن سبيل الله، فذِكْرُ كلمة}رَبِّهِمْ{ مقصود، إذ(الرّب) في اللغة يعني: المالك، المصلح للشيء، القائم بتدبير أمور خلقه(ابن فارس، مادة(ربّ))، و(هو الله ــ عزّ وجلّ ــ، هو ربّ كل شيء، أي: مالكه، وله الربوبية على جميع الخلق، لا شريك له،...، ولا يقال الرب في غير الله إلاّ بالإضافة، فيقال: فلان رب هذا الشيء، أي: مِلْكُه له، وكلُّ من مَلَكَ شيئًا فهو ربُّه، يقال: فلانٌ ربُّ البيت، والربّ يطلق في اللغة على المالك والسيد والمدبّر والمربّي والقيّم والمنعِم)(ابن منظور، 1414هــ، مادة(ربّ)) ، وربوبية الله تعالى تعني وحدانيته ــ سبحانه ــ في الخلق والرّزق والإحياء والإماتة وتدبير الأمور والتصرّف في الكون، ونحو ذلك(الصنعاني، 1424هــ، ص9)، قال الإمام الرازي:(الموضع موضع ذكر الهيبة، وتقدُّم ذكر الكافر ولفظُ الرّب يدل على الرحمة، فلو قال بدل الرب المضاف إليهم لفظًا دالاً على الهيبة، هل يكون أليق أم لا؟ قلنا: هذا اللفظ أحسن ما يكون؛ لأنّ من أساء واضطر إلى التوجه إلى من أحسن إليه يكون ذلك أشدّ ألمًا وأكثر ندمًا من غيره)(الرازي، 1997، ص291)، والأمر كما قاله الإمام الرازي ــ رحمه الله ــ، فلو قال تعالى: ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى الله ينسلون لمَا أدّى المعنى

الذي أدّاه قوله تعالى:} وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ}؛ لأنّ كلمة(ربهم) تؤدي معنًى في اللغة لا يؤدّيه لفظ الجلالة(الله).

وقوله تعالى: }يَنْسِلُونَ }يُقدّم لنا صورة بيانيّة في كيفيّة خروج الموتى من أجداثهم، وقد بيّن علماء اللغة معنى النسْل، فقال ابن فارس:(النون والسين واللام أصلٌ صحيح يدلُّ على سَلِّ شيءٍ وانسلاله. والنَّسْلُ: الولد؛ لأنَّه يُنْسَل من والدته. وتناسَلُوا: ولد بعضُهم من بعض. ومنه النَّسَلان: مِشية الذِّئب إذا أعْنَقَ وأسْرَع(ومعنى أعنق أي: مشى مشيًا سريعًا وهو مادٌّ عُنُقَه، ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة(عنق)، وقال ابن سيده:(أعْنَق الرجلُ وَالدَّابَّة: إذا مَشى مشياً سَرِيعًا)، ينظر: ابن سيده، المخصّص، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت 458هـ)، ت خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي – بيروت،1417هـ، 1996م، مادة(عنق))، والماشي يَنْسِلُ، إذا أسرع... والنُّسَالة: شَعر الدَّابّة إذا سقطَ عن جَسدِهِ قِطَعاً. ونُسَال الطَّير: ما تحاتَّ من أرياشها... وقد أنسلَتِ الإبلُ: حانَ لها أن تُنسِلَ وبَرَها. ونَسلَ الثَّوبُ عن الرّجل: سَقَط)(ابن فارس، 1983، مادة(نسل))، وقال ابن سيده:(ونَسَلَ المَاشِي يَنْسِلُ ويَنْسُلُ نَسْلاً ونَسَلاً ونَسَلاناً، أي: أسْرَع)(ابن سيده، 2000، مادة (نسل))، وقال الراغب الأصفهانيّ:(النَّسْلُ: الانفصال عن الشيء ، يقال: نسل الوبَر عن البعير والقميص عن الإنسان)(الأصفهاني، مادة(نسل)). فالنسْل في اللغة يأتي بمعنى خروج شيء من شيء، كخروج الولد من والدته ــ كما ذكر ابن فارس ــ، ويأتي بمعنى الإسراع في المشي، ويأتي بمعنى السقوط والانفصال، أي: سقوط الشيء وانفصاله عن شيء.

والمعنى الذي ينسجم مع الآية الكريمة هو الخروج من الأجداث مع المشي السريع عند الخروج، وهذا المعنى هو الذي أورده المفسرون عن سيّدنا عبد الله بن عباس ــ رضي الله عنهما ــ، فقد ذكر الإمام الطبري بسنده عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ قال:(قوله تعالى:(ينسلون) يقول: يخرجون)(الطبري، 1997، ص531)، وقال الإمام الطبري:(قوله تعالى:(إلى ربهم ينسلون) يقول: إلى ربهم يخرجون سراعًا، والنَّسَلان: الإسراع في المشي) (الطبري، نفسه) ، وقد ورد لفظ(النسل) في السُّنة النبوية، في سياق له علاقة بمعنى الآية، إذ أخرج ابن خزيمة بسنده عن جابر بن عبد الله ــ رضي الله عنهما ــ قَالَ: شَكَا نَاسٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ــ ﷺ ــ الْمَشْيَ فَدَعَا بِهِمْ، وَقَالَ:(عَلَيْكُمْ بِالنَّسَلانِ)، فَنَسَلْنَا فَوَجَدْنَاهُ أَخَفَّ عَلَيْنَا)(الحاكم، 1411ه، 610/1)، وفسّر الإمام ابن الجوزي النسَلان بأنه(مقاربة الخطو مع الإسراع، كمشي الذئب إذا بادر)(ابن الجوزي، 1422هـ، ص213)، وعند تفسير الإمام الرازي للآية الكريمة ذكر قوله تعالى: }وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ{ (الزمر/68)، وذكر أنّ قوله تعالى في هذه الآية:} فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ{لا يتناقض مع قوله تعالى:}فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون{ من سورة يس، وذلك لسببين: الأول: أنّ القيام لا ينافي المشي السريع؛ لأنّ الماشي قائم، والثاني: لحصول القيام مع المشي في صورة سريعة، وكأنهما حصلا في زمن واحد، وعند تفسير الإمام الرازي لآية الزمر المذكورة قال:(ويجوز أن يكون القيام بمعنى الوقوف والخمود في مكان؛ لأجل استيلاء الحيرة والدهشة عليهم)(الرازي، 1997، ص477)، وقال أبو السعود:(قائمون من قبورهم أو متوقفون)(أبو السعود، 1994، ص263) ، والذي يميل إليه الباحث أنّ

أقرب معنًى للقيام هو النهوض، وقد وردت كلمة(قيام) مرةً أخرى في القرآن الكريم، في قوله تعالى: }فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِين{ (الذاريات/45)، في سياق الإخبار عن عاقبة عذاب ثمود، بعد أنْ أخَذَتهم الصاعقة، ومعنى القيام النهوض(ابن الجوزي، 1422هـ، ص172)، ولا شك أنّ القيام بمعنى النهوض هو أوّل المشي، والذي يكون في مرقده لا بد أنْ ينهض منه قبل البدء بالمشي، ولا شك أنّ ذلك كله ــ القيام والمشي ــ يحصلان بسرعة، وكأنهما في زمانٍ واحد.

وقوله تعالى: {قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا} يبين لنا أوّل ما يقوله الكافرون عند خروجهم من أجداثهم، فأوّل ما يقولونه:(يا ويلنا)، والدليل على أنّ هذا هو أوّل ما يقولونه قوله تعالى:(قالوا)، بصيغة الماضي، فلو قال ــ سبحانه ــ:(يقولون)، لكان هذا حالاً من الفِعْل }ينسلون{ فيكون قولهم:(يا ويلنا) حال نسَلانهم، ولكن قال ــ سبحانه ــ:(قالوا) بصيغة الماضي للدلالة على أنّهم بدأوا بقول{ يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا }مُذ أذِن الله تعالى لأرواحهم أنْ تعود لأبدانهم، قال الآلوسي:({قَالُوا}: أي في ابتداء بعثهم من القبور)(الآلوسي، 1985، ص31)، وفيما يتعلق بمعنى(الويل) قال ابن منظور:(الويل: الحُزْن والهَلاك والمشقّة مِنَ العَذاب، وكلُّ مَن وَقع فِي هَلَكة دَعا بالوَيْل، وَمَعْنَى النِّداءِ فِيهِ يَا حزني وَيَا هَلاكي وَيَا عَذابي احْضُر فَهَذَا وقتُك وأوانك، فكأنه نادَى الوَيْل أن يَحْضُره لِما عَرض لهُ مِنَ الأمر الفَظيع)(ابن منظور، 1414هـ، مادة(ويل))، وفي تفسير الآية الكريمة قال الإمام الطبري:(قال هؤلاء المشركون ــ لمّا نُفخ في الصور نفخة البعث لموقف القيامة، فَرُدَّت أرواحُهم إلى أجسامهم، وذلك بعد نومة ناموها ــ:}يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا{)(الطبري، 1997، ص531)، وقول الإمام الطبري:(بعد نومة ناموها) يشير إلى أنّ الموت شبيه بالنوم، وقولهم:(مَن بعثنا) أي: مَن أحيانا(الأصفهاني، مادة(بعث))، فالبعث يأتي على معاني، والمراد به هنا الإحياء مع الإخراج من المرقد، و(المرقد) مأخوذ من الفعل الماضي(رَقَدَ)، قال الخليل بن أحمد الفراهيديُّ:(الرُّقادُ والرُّقودُ: النوم بالليل، والرَّقدةُ أيضاً: هَمْدةٌ ما بين الدنيا والآخرة)(الفراهيدي، مادة(رقد))، وهو ــ أي: الفعل(رَقَدَ) ــ(أصلٌ واحدٌ يدلُّ على النَّوم)(ابن فارس، مادة(رقد))، (وَيُحْتَمَلُ أن يَكُونَ المَرْقَد مَصْدَرًا(أي: الرُّقاد، ينظر: السامرائي، فاضل، على طريق التفسير البياني، دار الفكر، عمّان، الأردن، ط2، 2013م، 218/2)، وَيُحْتَمَلُ أن يَكُونَ مَوْضِعًا وَهُوَ الْقَبْرُ، وَالنَّوْمُ أخو الْمَوْتِ)(ابن منظور، مادة(رقد)(، قال أبو حيان:(المرقد: استعارة عن مضجع الميت، (الفراهيدي، مادة(رقد))، والمراد الجمع، أي: من مراقدنا.. وقيل: قالوا من مرقدنا؛ لأنّ عذاب القبر كان كالرقاد في جنب ما صاروا إليه من عذاب جهنم)(أبو حيان، 1420هـ، ص74)، والذي يميل إليه الباحث أنّ التعبير بكلمة}مرقدنا{ في هذا المَقام والتي قالها أولئك الكافرون المجرمون، لحظة خروجهم من أجداثهم، إنّما هو للتعبير عن قِصَر المدة التي لبثوها وهم أموات، هذا بالنسبة إلى شعورهم ومقدار إدراكهم، وقد استفاد الباحث هذا المعنى من خلال ما قاله أبو حيّان ــ رحمه الله ــ عند تفسيره قوله تعالى:}يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا{ (الإسراء/52)(أبو حيان، 1420هـ، ص64)، فالتعبير بقولهم(مرقدنا) راجعٌ إلى ظنهم هم، أي في حسابهم وتقديرهم، وسواء كان (الظن) في آية الإسراء على بابه او بمعنى اليقين فإنه لا يؤثّر في حقيقة قِصَر مدة اللّبث في القبر، بالقياس إلى مدّة البقاء في عذاب جهنم، نعوذ بالله تعالى منها، ومن الملاحظ أنّ القرآن الكريم قد استعمل كلمة(رقَد) في موضعين فقط من القرآن الكريم، الأوّل: من سورة يس، والثاني: من سورة الكهف، قال تعالى:}وتحسبهم

أيقاظًا وهم رقود{(الآية/18)، أي: وهم نائمون(الرازي، 1997، ص444)، وقد اتفق الراقدون المقصودون في السورتين بالنظر إلى مدة الرقود أنها قصيرة، أمّا الراقدون من الموتى فقد بيّن الباحث أمرهم، وأمّا الراقدون من أهل الكهف فقد قال الله تعالى عنهم:}وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ{ الآية(الكهف/19).

وبعد استفهام الخوفِ والفزع ــ أقصدِ قولهم: }يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا{ ــ الذي يسأله أولئك المنكرون للبعث، لحظة قيامهم من أجداثهم، وهم في حالة من التخبّط والاضطراب، وقد ملأ الخوف قلوبهم، وهاهم بدأوا يخرجون مسرعين،}ينسلون{ من تلك الأجداث العفنة، يأتيهم الجواب على استفهامهم:}هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون{ .

وقد ذكر الإمام الطبري قولين في تفسير القائل لهذا الجواب، الأول: أنّ قائله هم المؤمنون بالله، وقد رواه الإمام الطبريّ بسنده عن مجاهد وقتادة، والثاني: أنّ قائله هم الكفار أنفسهم، يخبرون بعضهم البعض، وقد رواه الإمام الطبري بسنده عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، قال الإمام الطبريّ:(والقول الأول أشبه بظاهر التنزيل، وهو أن يكون من كلام المؤمنين؛ لأنّ الكفار في قيلهم}من بعثنا من مرقدنا{ دليل على أنهم كانوا بمن بعثهم من مَرْقَدهم جُهَّالاً ولذلك من جهلهم استثبتوا، ومحال أنْ يكونوا استثبتوا ذلك إلا من غيرهم، ممن خالفَت صفتُه صفتَهم في ذلك)(الطبري، 1997، ص533)، وهو ما يميل إليه الباحث؛ لأنّ المقام يستدعي الفرح بتصديق الوعد بالبعث، والأحرى بالفرح والتهاج اللسان بالتعبير عن هذا الموقف المهيب هم المؤمنون}هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون{، ومن المحتمل أنْ يكون هذا القول من المؤمنين للكافرين على جهة التقريع(ابن عطية، 2000، ص458)، وكلمة(ما) في الآية يُحتمل أنْ تكون اسمًا موصولاً، أي: هذا الذي وعَد الرحمن وصدق في الإخبار به المرسَلون، ويُحتمل أنْ تكون(ما) مصدرية، أي: هذا وعْدُ الرحمن وصِدْقُ المرسَلين، قال الآلوسي:(ما موصولة محذوفة العائد، أي: هذا الذي وعده الرحمن والذي صَدَقه المرسلون، أي: صدق فيه، من قولهم صَدَقْتُ زيدًا الحديث، أي: صَدَقْتُه فيه، ...أو مصدرية أي هذا وعْدُ الرحمن وصِدْقُ المرسلين(الآلوسي، 1985، ص32.)

المبحث الثاني:

الصورة البيانية الثانية: سرعة الموتى عند خروجهم من القبور:

قال تعالى:}وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ (41) يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ (42) إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ (43) يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ{ (ق/41ــ44).

هذه الآيات الكريمة من سورة(ق)، وهي سورة مكيّة، فقد نزلت قبل هجرة المصطفى ــ ﷺ ــ من مكّة المكرّمة إلى المدينة المنوّرة، وقد جاءت تلك الآيات في خاتمة الحديث عن المشركين الذين أنكروا أنْ يبعث الله إليهم منذرًا منهم، يحذّرهم من عذاب الله تعالى، ويتوعّدهم بشديد نقمته يوم القيامة، فأنكروا قدرة الله تعالى على إعادتهم إلى الحياة، بعد أنْ يصيروا ترابًا، فجاءت تلك الآيات الكريمة في خاتمة السورة، تعرض صورة أولئك المشركين عند خروجهم من قبورهم أحياء على وجه الأرض.

بدأت الآيات الكريمة بأمْر الله تعالى لنبيّه ــ ﷺ ــ أنْ يستمع إلى المنادي، واختلف المفسرون في مراد الله تعالى بالاستماع الذي أمَر به نبيَّه ــ ﷺ ــ فذهب الإمامُ الطبريُّ ــ رحمه الله ــ إلى أنّ المراد أنْ يستمع النبيّ ــ ﷺ ــ صيحة يوم القيامة، فكأنّ الله تعالى يقول: واستمع يا محمد صيحة يوم القيامة(الطبري، 1997، ص438)، وذهب الزمخشريّ ــ رحمه الله ــ إلى أنّ المراد أنْ يستمع النبيّ ــ ﷺ ــ لمَا يخبره به الله تعالى من حال يوم القيامة، فكأنّ الله تعالى يقول: واستمع لمَا أخبرك به من حال يوم القيامة(الزمخشري، 1997، ص396)، وذهب الإمام ابن عطيّة ــ رحمه الله ــ إلى أنّ قوله تعالى: چ ک چ بمعنى: وانتظر، وعلّل لهذا الفهم فقال:(وذلك أنّ محمدًا ــ ﷺ ــ لم يؤمر بأنْ يستمع في يوم النداء؛ لأنّ كل من فيه يستمع، وإنما الآية في معنى الوعيد للكفار، وقيل لمحمد ــ ﷺ ــ: تحسّس وتسمّع هذا اليوم وارتقبه، وهذا كما تقول لمن تَعِدُه بورود فتح: استمع كذا وكذا، أيْ: كن منتظرًا له مستمعًا)(ابن عطية، 2000، ص151)، وعند تفسير الإمام الرّازي ــ رحمه الله ــ للمراد بالاستماع، ذكر ثلاثة وجوه: الأول: أنّه لا يُراد مسموع بعينه، وإنما المقصود أنْ يكون النبيّ ــ ﷺ ــ منتبهًا مطيعًا، فالإمام يرى ــ في هذا الوجه الأول ــ أنّ الاستماع هنا ليس على ظاهره، والوجه الثاني: أنّ الاستماع على ظاهره، والمقصود منه أنْ يستمع النبيّ ــ ﷺ ــ لما يوحَى إليه، والوجه الثالث: أنْ يستمع نداء المنادي(الرازي، 1997، ص154)، والذي يميل إليه الباحث أنّ المعنى: وارتقب اليوم الذي تستمع فيه إلى نداء المنادي، وهو عينُ المعنى الذي ذكره الإمام ابن عطيّة ــ رحمه الله ــ، وقد اختلف المفسرون في تعيين ذلك المنادي، فهذا الإمام الطبريّ ــ رحمه الله ــ ذهب إلى أنه منادٍ ينادي بأمْر الله تعالى، من غير تعيين له، قال ــ رحمه الله ــ عند تفسيره للآية الكريمة:(يقول ــ تعالى ذكره ــ لنبيّه محمّد ــ ﷺ ــ: واستمع يا محمّد صيحة يوم القيامة، يوم ينادي بها منادينا من موضع قريب)(الطبري، 1997، ص438)، وذكر الإمام الطبريّ ــ رحمه الله ــ في ذلك رواية بسنده عن قتادة عن كعب الأحبار، قال:} وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ { قال:(مَلَك قائم على صخرة بيت المقدس ينادي: أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة؛ إنّ الله يأمرُكُنَّ أنْ تجتمِعْن لفصل القضاء)(الطبري، 1997، ص438)، وقد نَقَلَ الباحث هذه الرواية المروية عن كعب للتحذير من تصديقها؛ لأنّ هذا علم غيبيّ لا يؤخذ إلاّ من القرآن الكريم، أو بالتلقي الثابت عن النبيّ ــ ﷺ ــ، ولم يرد في ذلك علْم، وقد صحّ عن سيّدنا عمر بن الخطاب ــ ﷺ ــ، أنه زجر كعب الأحبار، عن التحديث عن السابقين مما يجده في التوراة، فقال له:(لَتَتْرُكَنَّ الأحَادِيثَ، أوْ لأُلْحِقَنَّكَ بِأرْضِ القِرَدَةِ)(نفس المصدر)، وما نقله الإمام الطبري عن كعب أوْرَدَه الإمام ابن عطيّة عن النبيّ ــ ﷺ ــ(ابن عطية، 2000)، وليس له أصل في كتب السنة، وذهب الزمخشري ــ رحمه الله ــ إلى أنّ المنادي هو الملك إسرافيل ــ عليه السلام ــ حين يَنفُخُ في الصُّور، وقال الإمام الرازي:(المنادي إمّا أنْ يكون هو الله أو الملائكة أو غيرهما)(الرازي، 1997، ص155)، والذي يميل إليه الباحث أنّ المنادِيْ هو المَلَك الموكّل بالنفخ في الصُّور، للحديث الذي أخرجه الإمام الترمذي ــ رحمه الله ــ بسنده عن النبيّ ــ ﷺ ــ أنّه قال:(كيف أنْعم وصاحب القَرْن قد التقم القَرْنَ واستمَعَ الإذن متى يُؤْمَرُ بالنفخ فَيَنفُخ)، فكأن ذلك ثَقُل على أصحاب النبي ــ ﷺ ــ، فقال لهم:(قولوا: حسبنا الله ونِعم الوكيل، على الله توكّلنا)، وقوله تعالى:}من مكان قريب {فسّره الإمام الرازي ــ رحمه الله ــ بأنه(إشارة إلى أنّ الصوت لا يخفى على أحد، بل يستوي في استماعه كل أحد)(الرازي، 1997، ص155) ، ويرى الباحث أنّ هذا المعنى صحيح؛ لأن ذلك الصوت من أمْر الله تعالى، وهو موجّه

إلى جميع المخلوقات المحاسبة، وقوله تعالى:{يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ{أي:(يوم يسمع الخلائق صيحة البعث من القبور بالحق، يعني بالإجابة لله إلى موقف الحساب)(الطبري، 1997، ص439)، وقد سمّى الله تعالى ذلك اليوم المهيب بـــ(يوم الخروج)؛ لكثرة ما يكون فيه من الخروج، أيْ خروج الموتى من الأرض، من الإنس والجنّ وسائر الدّوابّ، وقوله تعالى: }إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ{أي: إنَّ اللهَ ــ عزّ وجلّ ــ ذا الجلال والعظمة، هو وحده المتفرّدُ بالإحياء والإماتة، فما مِن حياة تدبّ في مخلوق إلاّ بأمْر الله، وما مِن حياة تخرج من مخلوق إلاّ بإذن الله كذلك، وإلى الله تعالى وحده مصير هذا الميّت، فهو يحييه إذا شاء متى شاء، وقوله تعالى:{يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ{ هذه الآية الكريمة تصوّر لنا حال الأرض يوم القيامة، وتصوّر لنا كيفية خروج الموتى منها، أمّا الأرض فإنها }تَشَقَّقُ{ ، والشَّق في اللغة معناه الصّدْع، قال ابن فارس:(الشين والقاف أصلٌ واحدٌ صحيحٌ، يدلُّ على انصداع في الشيء)(ابن فارس، 1983، مادة(شقّ))، وقال الرّاغب الأصفهانيّ:(الشّقُّ: الخَرْمُ الواقع في الشيء)(الأصفهاني، مادة(شقّ))، ومن ذلك يتبيّن أنّ تَشَقُّق الأرض معناه تصدُّعها، وقوله تعالى:{يومَ تَشَقَّقُ الأرضُ }يَعرض لنا صُوَرًا متحرّكة لحال الأرض يوم القيامة، وكأنّنا أمام مشهد مُفعم بالحركة، وفي قراءة أخرى{تَشَّقَّقُ}، بتشديد الشين، وهي قراءة نافع وابن كثير وابن عامر، وأصلها: تتشقق، فأدغموا التَّاء فِي الشين(ابن زنجلة، ص679)، والذي يميل إليه الباحث أنّ تشقق الأرض عن قبور الموتى يوم القيامة سينشأ عن زلزال عنيف جدًّا يضرب الأرض، وقد أخبَرَنا الله تعالى عن ذلك الزلزال فقال ــ سبحانه ــ:}إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (1) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا {(2) (الزلزلة/1ــ2)، وأثقالها: (الموتى الذين في جوفها)(ابن جزي، ص213)، ومما يؤكد أنّ الزلزال يؤدي إلى تشقّق الأرض علماء الجغرافيا، فإنهم يذكرون أنّ الزلزال إذا كان بقوة(7.5) درجة على مقياس(ريختر) فإنّ من آثاره (تدمير أغلب المباني غير المسلحة، وبعض المنشآت الخرسانيّة مع أساساتها، وتتشقق الأرض شقوقًا كبيرة)(الدليمي، 2009، ص73)، فإذا كان هذا الدمار، وتلك الشقوق الكبيرة بسبب زلزال يحدث في الدنيا، فكيف هو الحال عند زلزال الآخرة ؟!، فلا شكّ أنّ الأمر أفظع بكثير جدًا، فالأرضُ كلّ الأرض في حال تشقق، وقد سبق ذلك صوتُ الصَّيحة، والذي يظهر للباحث أنّ تشقق الأرض ملازم للصَّيحة، فقد نُفخ في الصُّور وتشققت الأرض، وبدأ الموتى يخرجون منها، وكلمة}عنهم{ في قوله تعالى: }يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا{ لها دلالتها في الصّورة البيانية لحظة خروج الموتى من قبورهم، فقد سبق للأرض أنْ ضمّتهم وأطبقت عليهم فيما مضى من السنين، وها هي الآن تتشقّق عنهم وتتخلّى، قال تعالى:}وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ (3) وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ {(4)(الانشقاق/3ــ4)، فها هي الآن تلقي ما فيها من الموتى، وتتخلّى عنهم، استجابة لأمر خالقها، وخالق من فيها، وممّا يجمُل الإشارة إليه هنا أنّه ورد أنّ أوّل من ينشق عنه القبر يوم القيامة هو النبيّ محمّدٌ ــ ﷺ ــ، فعَنْ أَبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ــ، قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ــ ﷺ ــ جَالِسٌ، جَاءَ يَهُودِيٌّ، فَقَالَ: يَا أَبَا القَاسِمِ ضَرَبَ وَجْهِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِكَ، فَقَالَ: مَنْ؟ "، قَالَ: رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ، قَالَ: (ادْعُوهُ) ، فَقَالَ:(أَضَرَبْتَهُ؟ ، قَالَ: سَمِعْتُهُ بِالسُّوقِ يَحْلِفُ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى البَشَرِ، قُلْتُ: أَيْ خَبِيثُ، عَلَى مُحَمَّدٍ ــ ﷺ ــ ، فَأَخَذَتْنِي غَضْبَةٌ ضَرَبْتُ

وَجْهَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ــ ﷺ ــ:(لاَ تُخَيِّرُوا بَيْنَ الأَنْبِيَاءِ، فَإِنَّ النَّاسَ يُصْعَقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ العَرْشِ، فَلاَ أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صُعِقَ، أَمْ حُوسِبَ بِصَعْقَةِ الأُولَى)(البخاري، 1422هـ، حديث رقم(2411)). ففي قول النبيّ ــ ﷺ ــ:(تنشَقُّ) بهذا اللفظ، وقد ورد هكذا في جميع الروايات، وليس تَشَقَّقُ أو تَشَّقَّقُ، فيه ــ أي في لفظ(تنشَقُّ) ــ ما يشير إلى يُسْر انشقاق الأرض عن النبيّ ــ ﷺ ــ، ــ والله تعالى أعلم ــ، وقوله تعالى:{سراعًا{ أيْ: مسرعين(الرازي، 1997، ص157)، فـ{سراعًا{ حال من الضمير(هم) في قوله تعالى:{ عنهم}، ولا شكّ أنّ السّرعة ليست محصورة في الموتى الذين يخرجون من الأرض، بل إنّ الأرض كذلك تتشقق عنهم بسرعة شديدة، والذي يلاحظه الباحث أنّ التعبير القرآني بكلمة(سراعًا) له ما يميّزه عن غيره من الكلمات المشتقّة من نفس اللفظ، مثل كلمة(مسْرعين) ــ على سبيل المثال ــ، وقد جاءت كلمة(سراعًا) في موضعين من القرآن الكريم، الأول في هذه السورة، والثاني في قوله تعالى:{يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ{ (المعارج/43) فكلمة(سراعًا) أدلّ على المقصود من كلمة(مسْرعين)، وذلك من وجهين، الوجه الأوّل: من حيث عدد حروف الكلمة، فكلمة(سراعًا) أقلّ حروفًا من كلمة(مسْرعين)، وَوَجَازة الكلمة بقلّة عدد حروفها فيه إشارة إلى شدّة سرعة الخروج، قال تعالى:{فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ{ (الصافات/19)، وقال تعالى:{وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ{ (القمر/50)، وكلمة(كلمح) تدلّ على نهاية السّرعة(الرازي، 1997، ص330)، والوجه الثاني: من حيث جرْس الكلمة وصوتها في الأُذن، فـ(سِراعًا) تحرّكت فيها السين، وانفتحت فيها العين، وانطلقت فيها الألف، في وسطها وآخرها، وهي إشارات لها إيحاءاتها في شدّة السّرعة لحظة الخروج، خَلَت منها كلمة(مسْرِعين)، حيث السين ساكنة، والراء والعين مكسورتان، وليس فيها ألف الإطلاق، ولم ترد كلمة(سراعًا) في القرآن الكريم سوى في موضعين اثنين، هذا الموضع وفي قوله تعالى:{يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ{ (المعارج/43)، وقد ورد في ذات السياق.

إنّ هذه المليارات من الخلائق، من الإنس والجنّ والحيوانات، كلها تخرج من الأرض مسرعة مستسلمة، تخرج للحشر والحساب، استجابة لأمر الله تعالى، ثمّ بيّن ــ سبحانه ــ أنّه قادر على ذلك الحشر، فلا يُعجزه، }ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ{ فهو بالنسبة إلى الله تعالى سهل ليس فيه كُلفة ولا مشقّة، وتقديم الجارّ والمجرور}عَلَيْنَا{ على متعلقه}يسير{ يفيد الحصر والتخصيص، فهو حشرٌ يسيرٌ على الله تعالى وحده، الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، قال تعالى:{مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ{ (لقمان/28).

المبحث الثالث:

الصورة البيانية الثالثة: التشبيه بالجراد المنتشر:

قال تعالى:{فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ (6) خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ (7) مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ{(القمر/6ــ 8).

هذه الآيات الكريمة من سورة القمر، وهي سورة مكية، وقد سبق الكلام أنّ من قضايا السور المكية قضية البعث، ومناسبة هذه الآيات لمَا سبقها أنّ الآيات السابقة ذكرت قرب الساعة، وأخبرت عن إنكار المشركين لها، وتكذيبهم رسولَ الله ــ ﷺ ــ فيما أخبر به، واتهامِهم له ــ ﷺ ــ بالسّحر، فجاءت هذه الآيات تُسرّي عن قلب النبيّ ــ ﷺ ــ، وتوجِّهُهُ إلى الإعراض عنهم بعدم الاكتراث باتهاماتهم، وَتَذكُّرِ حالِهم يومَ البعث.

بدأت الآيات الكريمة بأمْر الله تعالى للنبيّ ــ ﷺ ــ أنْ يتولى عن المشركين المكذّبين، قال الإمام الطبريّ:(فأعرض يا محمد عن هؤلاء المشركين من قومك، الذين إنْ يروا آية يعرضوا ويقولوا: سِحْر مستمرّ)(الطبري، 1997، 573)، وقال الزمخشريّ:(فَتَوَلَّ عَنْهُمْ لعلمك أن الإنذار لا يغنى فيهم)(الزمخشري، 1997، ص432)، لقد سلّى الله تعالى نبيّه ــ ﷺ ــ بقوله:(فتولّ عنهم) أي: لا تُذهب نفسك عليهم حسرات(ابن عطية، 2000، ص212)، وقال النيسابوريّ:(فتول عنهم لعلمك أنّ الإنذار لا يفيد فيهم ولا يَظهر الحق لهم إلى يوم البعث والنشور)(النيسابوري، 1416هـ، ص217)، ومن تلك الأقوال يمكن القول بأنّ معنى الآية: فأعرض يا محمد ــ ﷺ ــ عن هؤلاء المكذّبين، الذين لن يؤمنوا بك مهما رأوا من الآيات الدالة على صدقك، ولن يتركوا شركهم وكفرهم، فلا تحزن لاتهامهم إيّاك بالسحر ونحوه، ولا تذهب نفسك عليهم حسرات، وقد ذهب قلة من العلماء إلى القول بأنّ الآية منسوخة بالآيات التي أمرت بقتالهم بعد الهجرة، منهم الشوكاني والآلوسي(الشوكاني، 2014، ص160، الآلوسي، 1985، ص79)، وأكثر العلماء لم يقولوا بالنسخ في الآية، إمّا بالتصريح بعدمه، وإمّا بعدم التعرّض له أصلاً(الطبري، 1997، ص549، الرازي، 1997، ص292، ابن كثير، 1991، ص278، ابن عاشور، ص176)، وهو ما يميل إليه الباحث؛ بسبب عدم التعارض بين الآية وبين الآيات التي أمرت بقتالهم لاحقًا، فالجمع بينهما ممكن، وهو أنّ آية(فتولّ عنهم) ليس فيها نهي عن قتالهم، إذ معناها: لا تكترث لتكذيبهم، وأعرض عن الحزن عليهم، وليس معناها لا تقاتلهم، فالآية على هذا محكمة وليست منسوخة، وقد ذكر العلماء عدم جواز وصل(عنهم)بـــ(يومَ يدعُ)؛ لأنَّه لو وصل بما بعده صار(يومَ يدعُ) ظرفًا للتولي عنهم، وليس كذلك بل هو ظرف(يَخرجون)، والمعنى على التقديم والتأخير، أي يخرجون من الأجداث يومَ يدع الدَّاع(الأشموني، ص82)، وقال أبو حيّان:(الناصب ليوم اذكر مضمرة)(أبو حيان، 1420هـ، ص35)، أي إنّ كلمة(يومَ) مفعولٌ به منصوب بفعل محذوف تقديره(اذكُر)، وقوله تعالى:{يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكُرٍ }أي:(يوم يدعو داعي اللهِ إلى موقف القيامة، وذلك هو الشيء النُّكُر)(أبو حيان، 1420هـ، ص35)(لم يرد دليل صحيح يقطع بتعيين الداعي المراد هنا، وقد يكون الداعي هو الله ــ سبحانه وتعالى ــ، لقوله تعالى في آية أخرى:(يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلاّ قليلاً)(الإسراء/52)، وقد يكون الداعي ملك من الملائكة، والله تعالى أعلم، وقد سبق الكلام في المبحث الثاني حول عدم قيام دليل صحيح يُعيّن اسم الملك الموكّل بالنفخ في الصّور، ينظر: الرازي، التفسير الكبير، دار الكتاب العربي، 1997م، 92/10)، وبيّن الزركشي أنّ حذف الواو من كلمة(يدعُ)ــ يقصد أنها لم تكتب(يدعو) بالواو ــ فيه إشارة إلى سرعة الدعاء وسرعة الإجابة(الزركشي، 1988، ص398)، وقد ذكر العلماء تفسيرَين اثنين لقوله تعالى:{إلى شيء نكر} الأول: إلى شيء أنكروا حصوله وهو البعث ، الثاني: إلى شيء فظيع، وهو الحساب وما فيه من أهوال، وهو الذي ذهب إليه الإمامان

الرازي وابن كثير(الرازي، 1997، ص292، ابن كثير، 1991، ص278)، والذي يميل إليه الباحث أنّ المعنيين محتملان، أولاً من جانب السياق، فسياق الآية يقبل المعنيين، وسياقها هو الحديث عن الساعة واقترابها، وتصبير النبيّ ــ ﷺ ــ بلفْتِ نظره إلى حالهم يوم خروجهم من الأجداث، وهو يومٌ عظيم أنكروا مجيئه، ثانيًا من جانب اللغة، قال ابن فارس:(نكر: النون والكاف والراء أصل صحيح يدل على خلاف المعرفة التي يسكن إليها القلب، ونَكِرَ الشيءَ وأنكَرَهُ: لم يقبلْه قلبُه، ولم يعترفْ به لسانه)(ابن فارس، 1983، مادة(ذكَر))، وقوله تعالى:}خُشّعًا أبصارُهم{ يعني:(ذليلةً أبصارُهم،...وإنما وصف ــ سبحانه ــ الأبصار بالخشوع دون سائر أجسامهم والمراد به جميع أجسامهم؛ لأن أثر ذلة كل ذليل، وعزّة كل عزيز، تتبين في ناظريه دون سائر جسده، فلذلك خصّ الأبصار بوصفها بالخشوع)(الطبري،1997، ص549)، قال الزمخشري:(وخشوع الأبصار: كناية عن الذلة والانخزال؛ لأن ذلة الذليل وعزة العزيز تظهران في عيونهما)(الزمخشري، 1997، ص433)، وفي قراءة أخرى(خاشعًا أبصارهم)، قرأ بها أبو عمرو ويعقوب البصريان وحمزة والكِسائي(ابن الجزري، ص380)، قال أبو حيان:(وانتصب(خُشّعًا) و(خاشعًا) على الحال من ضمير(يَخرُجون)(أبو حيان، 1420، ص36)، أي: يخرجون من الأجداث حالة كونهم خُشّعًا ــ أو خاشعًا على القراءة الأخرى ــ أبصارهم، أي: يخرجون حالة كونهم أذلاّء، وبيّن ــ سبحانه ــ أنهم يخرجون من الأجداث، ولم يصفْها الله هنا بالقبور؛ لما سبق بيانه في المبحث الثاني، ووصَف الله تعالى خروجهم بجراد منتشر، والجراد معروف، واحدته جرادة تقع على الذكر والأنثى، قال الجوهريّ: وليس الجراد بذكَرٍ للجرادة، وإنما هو اسم للجنس، كالبقر والبقرة، والتمر والتمرة، والحمَام والحمَامة، وما أشبه ذلك، فحقٌّ مذكَّره أنْ لا يكون مؤنثه من لفظه؛ لئلا يلتبس الواحد المذكَّر بالجمع، وقيل: الجراد الذكَر والجرادة الأنثى(ابن منظور، 1414هـ، مادة(جرَد))، والمقصود بالآية هنا من هذا التفصيل اللغوي في معنى الجراد ما قاله الجوهري، فالمقصود بالتشبيه اسم جنس الجراد ذكورًا وإناثًا، وليس المقصود التشبيه بذكور الجراد دون إناثه.

وهؤلاء الكفار عند خروجهم من الأجداث كأنهم في انتشارهم وسعيهم إلى موقف الحساب جراد منتشر(الطبري، 1997، ص550)، ووجْه الشبه بينهم وبين الجراد المنتشر هو في الكثرة والتموّج(الزمخشري، 1997، ص433)، ومن أوجه الشبه كذلك كثرة الاضطراب وشدّة الفقر والحاجة، فالجراد عندما يهُبّ منتشرًا في الأرض فإنما يكون في جوع شديد، وفي حالة من الاضطراب، كأنما هو في حالة من الهلع والخوف الشديدين، وهكذا أولئك الكافرون عند خروجهم من الأجداث، فهم خائفون وجلون، ليس معهم زادٌ من تقوى أو إيمان، فهم عرايا من كل شيء، إلاّ من الكفر والجحود.

وقوله تعالى:}مهطعين إلى الداع{ فيه تفصيلٌ آخر في عرْض جوانب المشهد الذي يصف حال خروجهم، فهم بالإضافة إلى خروجهم مذلولين مقهورين، كأنهم جراد منتشر، كذلك يخرجون حالة كونهم مهطعين إلى الداعي، وكلمة}مهطعين{ مشتقة في اللغة من الفعل الماضي(أهطَعَ)، وجذْره الثلاثيُّ المجرّد(هَطَعَ) وقد عرّف علماء اللغة(الهَطْع) فقال ابن فارس:(الهاء والطاء والعين أصيلٌ يدلُّ على إقبالٍ على الشّيء وانقياد. يقال: هَطَعَ الرّجلُ على الشَّيء ببصره: أقبَلَ. وأهطعَ البعيرُ: صوَّبَ عُنُقَه منقاداً. وأهْطَعَ: أسْرَعَ)(ابن فارس، 1983، مادة(هَطَعَ))، وقال الراغب الأصفهانيّ:(هطَع الرجل ببصره، إذا صوّبَهُ)(الأصفهاني، مادة(هطع))، وأضاف ابن منظور زيادة في المعنى على ما ذكره ابن فارس والأصفهانيّ، وهو أنّ(الهَطْع) يكون في الإقبال بسرعة مع الخوف، فقال:(هَطَعَ وأهْطَعَ: أقبل مُسْرِعاً

خَائِفًا، لا يَكُونُ إلا مَعَ خَوْفٍ)(ابن منظور، 1414هـ، مادة(هطع))، وقد عبّر الأستاذ محيي الدين الدرويش عن معنى(مهطعين) فقال:(الإهطاع هو: الإسراع مع مدّ الأعناق، والتشوّف بالأنظار بصورة دائمة لا تُقلع عن التَّحديق، وهي صورة حيّة مجسّدة للفزع المرتاع، الذي يتطلع إلى ما يرتقبه من أهوال)(الدرويش، 2014، ص345–346)، وقد اختلف المفسرون في معنى كلمة(مهطعين)، قال سعيد بن جبير وقتادة: معناه مسرعين، وقال ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ: معناه ناظرين من غير أنْ يَطْرفوا، وقال عبد الرحمن بن زيد: معناه لا يرفعون رؤوسهم(الطبري، 1997، ص29–30)، وقال أبو الضحى: معناه التحميج(الطبري، ص575)، و(التحميج) في اللغة مأخوذ من الفعل الماضي(حَمَجَ)، ويقال في المضعّف:(حَمَّجَ)، قال ابن فارس:(حَمّج الرّجلُ عينَيه إذا حَدَّق وأحَدَّ النّظر)(ابن فارس، 1983، مادة(حمج))، وزاد ابن منظور في توضيح المعنى فقال:(التَّحْمِيجُ: فَتْحُ الْعَيْنِ وَتَحْدِيدُ النَّظَرِ كأنه مَبْهُوتٌ)(ابن منظور، 1414هـ، مادة(حمج)) ، وقال الماوردي:(قابضين ما بين أعينهم، قاله تميم)(الماوردي، ص411)، وعند تفسير ابن عطية للآية قال:(المُهطِعُ: المُسْرِعُ في مشيه نحو الشيء، مع هزٍّ ورَهَقٍ ومدِّ بَصَرٍ نحوَ المَقْصِدِ، إمّا لخوف أو طمع أو نحوه)(ابن عطية، 2000، ص213)، وقال قتادة: عامِدين، أي: قاصدين، وأضاف عكرمة معنًى جديدًا لكل ما سبق، فقال: فاتحين آذانهم إلى الصوت(أبو حيان، 1420، ص37)، والذي يظهر أنّ كلمة(مهطعين) تتّسع لجميع تلك المعاني، فهؤلاء الموتى من الكافرين يَخرجون من الأجداث مسرعين مادّي أعناقهم، محدّقين بعيونهم بشدَّة نحوَ الداعي الذي يدعوهم إلى الحساب، قابضين ما بين أعينهم، فاتحين آذانهم إلى صوته، قد ملأ الرعبُ قلوبهم، حينها لمْ يملكوا إلاّ أنْ يقولوا:(هذا يوم عسر)، قال الإمام الطبريّ:(وإنما وصفوه بالعسر لشدّة أهواله)(الطبري، 1997، ص550)، نسأل الله العافية.

المبحث الرابع:

الصُّورة البيانية الرابعة: تَشْبيهُهُم عند الخروج بحالهم عند القيام إلى آلهتهم:

قال تعالى:}فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ (40) عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (41) فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (42) يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ (43) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ{ (المعارج/40 ــ 44).

هذه الآيات الكريمة من سورة المعارج، وهي سورة مكية، جاءت في سياق ذكْر المشركين المستهزئين بالنبي ــ ﷺ ــ، قال تعالى في الآيات التي سبقتها:}فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ (36) عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ (37) أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ (38) كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ{(39) (المعارج)، فهم كانوا يستهزئون بالنبيّ ــ ﷺ ــ، وبما يدعوهم إليه من الإيمان بالله واليوم الآخر، ويزعمون أنهم إذا دخل المسلمون الجنة فإنهم سيدخلونها قبلهم، فجاءت هذه الآيات تثبت قدرة الله تعالى على تبديلهم، والإتيان بقومٍ خيرٍ منهم،(لم يُرد الباحث أن يتطرّق إلى المقصود بتبديلهم، أو إلى تفسير الآيات التي تبتعد به عن عنوان البحث بشكل دقيق، حتى لا يخرج عدد صفحات البحث عن الحد المسموح به)، ثمّ أمَر اللهُ تعالى نبيَّه ــ ﷺ ــ أنْ يتركهم وما هم فيه من باطل، قال ابن عاشور:(والتقديرــ أي تقدير قوله تعالى:}فذرهم يخوضوا ويلعبوا{الآية ــ: فذر خوضهم ولعبهم، ولا تحزن لعنادهم وإصرارهم)(ابن عاشور، ص281.(

بعد ذلك ذكَر الله تعالى اليوم الذي يخرجون فيه من أجداثهم يوم القيامة(سبق ــ والحمد لله ــ بيان معنى الجَدَثِ، والفرق بينه وبين القبر في المبحث الثاني)، فقال ــ سبحانه ــ:}يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ{، وكلمة}يوم {بدل من كلمة}يومهم{في الآية السابقة(الدرويش، 2014، ص73)، وقد أكّدت الآية الكريمة سرعة خروجهم من الأجداث، كما تكرّر ذلك في قوله تعالى:}وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ{ (يس/51)، وقوله تعالى:} يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ {(ق/44)، وكلمة(نُصُبٍ) في قوله تعالى:}يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ{ قرأ بها ابن عامر وحفص(نُصُبٍ) ، بضم النون والصّاد، وقرأ بها الباقون{نَصْبٍ }بفتح النون وتسكين الصّاد(خاروف، 2005، ص570)، وهي قراءة متواترة، قال ابن فارس:(النون والصاد والباء أصل صحيح يدلّ على إقامة شيء وإهداف في استواء(أي: وارتفاع في اعتدال)، يقال: نَصَبتُ الرّمح وغيره أنصِبه نَصبًا...والنَّصْبُ: حجر كان يُنصَب فيُعبَد، ويُقال هو النُّصُب، وهو حجر يُنصَب بين يدي الصّنم، تُصبُّ عليه دماء الذبائح للأصنام)(ابن فارس، 1983، مادة(هدَف) ومادة(سويَ))، و(نُصُبٍ) ، مفرد، جمعه: أنصاب، وهي آلهتهم التي كانوا يعبدونها، و{نَصْبٍ }مصدر، مأخوذ من قول القائل: نَصَبتُ الشيء أنصِبُه نَصْبًا، فيكون معنى الآية:(كأنهم إلى صنم منصوب يسعون سعيًا)(الطبري، 1997، ص243)، ومِن علماء اللغة مَن يرى بأنّ(نُصُبٍ) جمع، وجمع الجمع(أنصاب)، قال أبو حيّان:(قَالَ الأَخْفَشُ: هُوَ ــ أي(نُصُبٍ)ــ جَمْعُ نَصْبٍ، كَرَهْنٍ وَرُهُنٍ وسَقْفٍ وسُقُفٍ ، وَالأَنْصَابُ جَمْعُ الْجَمْعِ) (أبو حيان، 1420هـ)، وقال الهروي:(من قرأ (إلى نَصْبٍ) فمعناه: إلى عَلَم منْصوب لهم، ومن قرأ (إلى نُصُبٍ) فَمعناه: إلى أصنام لهم، كما قال:}وما ذُبح على النُصُبِ{(المائدة/3)(الهروي، 1991، ص92)، قال ابن عطية:(النُّصُب: ما نُصِب للإنسان، فهو يَقصد مسرعًا إليه، من عَلَم أو بناء أو صنم لأهل الأصنام. وقد كثر استعمال هذا الاسم في الأصنام حتى قيل لها الأنصاب،...وقال أبو العالية: إلى نُصُبٍ يُوفِضُونَ معناه: إلى غايات يستبقون)(ابن عطية، 2000،ص375)، وهكذا يُلاحظ أنّ العلماء لم يتفقوا على دلالة قراءة}نُصُبٍ{ ، إذ رأى بعضهم أنها تدل على المفرد، وبعضهم رأى أنها تدل على الجمع، وكذلك قراءة{نَصْبٍ }، فبعضهم رأى أنها تدل على المصدر، وبعضهم رأى أنها تدل على علم منصوب لهم، وليس هناك دليل يُقطع به في الدلالة على معنى دون معنى، والذي يميل إليه الباحث أنّ جميع ما ذُكر محتمَل؛ لعدم وجود دليل فاصل، ويبدو أنها لغات موجودة عند العرب، قال أبو علي: (يمكن أن يكون النَّصْبُ والنُّصُبُ لغتين كالضَّعف والضُّعف)(أبو شامة، ص706)، قال الزمخشري:(النُّصُب هو:كل ما نُصِب فعبد من دون الله)(الزمخشري، 1997، ص614)، ومعنى (يوفضون) يسرعون ، والإيفاض الإسراع(الماوردي، 2009، ص97)، وعند تفسير الإمام ابن كثير لقوله تعالى:}خاشعة أبصارُهم تَرهقهم ذِلةٌ{ قال:(قوله تعالى:}خاشعة أبصارُهم{ أي: خاضعة)(ابن كثير، 1991، ص230)، وقال ابن عادل:(أي: ذليلةٌ خاضعةٌ لا يعرفونها لما لم يكونوا يتوقعونه من عذاب الله، وقوله تعالى:}تَرهقهم ذِلةٌ{أي: يغشاهم الهوانُ والذلة)(ابن عادل، 1998.(

والآية الكريمة ــ أقصد قوله تعالى:{يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ{ ــ فيها تشبيه صورة بصورة، وحالة بحالة، قال القشيري:(شبّه إسراعهم حين قاموا من القبور بإسراعهم إلى النُّصُب- اليوم- كي يقوموا بعبادتهم إياها)(القشيري، ص633)، قال الشيخ عبد الكريم الخطيب:(كأنهم فى سرعتهم ذاهبون إلى نصب يجتمعون عنده، ليشهدوا مجلسا من مجالس عبادتهم)(الخطيب، ص1190-1191)، وقال الشيخ الصابوني:(أي كأنهم يسعون ويستبقون إلى أصنامهم التي نصبوها ليعبدوها، شبَّه حالة إسراعهم إلى موقف الحساب، بحالة إسراعهم وتسابقهم في الدنيا، الى آلهتهم وطواغيتهم، وفي هذا التشبيه تهكم بهم، وتعريض بسخافة عقولهم، إذ عبدوا ما لا يستحق العبادة، وتركوا عبادة الواحد الأحد، وهو تشبيه مرسَلٌ مجْمَلٌ)) الصابوني، 1997)(والتشبيه المرسَل المجمَل هو الذي ذُكرت فيه أداة التشبيه، ولم يُذكر فيه وجه الشبه، يُنظر: الميداني، البلاغة العربية، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني الدمشقي، دار القلم، دمشق، 1996م، 175/2)، وعند تفسير ــ سيد قطب ــ رحمه الله ــ لقوله تعالى:{فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُون{إلى آخر الآيات الكريمة يقول:(وفي هذا الخطاب من تهوين شأنهم، ومن التهديد لهم، ما يثير الخوف والترقب. وفي مشهدهم وهيئتهم وحركتهم في ذلك اليوم ما يثير الفزع والتخوّف، كما أنّ في التعبير من التهكُّم والسُّخرية ما يناسب اعتزازهم بأنفسهم واغترارهم بمكانتهم..فهؤلاء الخارجون من القبور يسرعون الخُطَى كأنما هم ذاهبون إلى نُصُب يعبدونه.. وفي هذا التهكّم تناسق مع حالهم في الدنيا. لقد كانوا يسارعون إلى الأنصاب في الأعياد ويتجمّعون حولها، فهاهم أولاء يسارعون اليوم، ولكن شتان بين يوم ويوم! ثم تتمُّ سماتهم بقوله:{خاشعةً أبصارُهم ترهقهم ذلة{ فنلمح من خلال الكلمات سيماهم كاملة، وترتسم لنا من قسماتهم صورة واضحة، صورة ذليلة عانية.. لقد كانوا يخوضون ويلعبون، فهم اليوم أذلاء مرهَقون..{ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون{، فكانوا يستريبون فيه ويكذّبون ويستعجلون! بهذا يلتئم المطلع والختام، وتم هذه الحلقة من حلقات العلاج الطويل لقضية البعث والجزاء، وتنتهي هذه الجولة من جولات المعركة الطويلة، بين التصور الجاهلي والتصور الإسلامي للحياة)(قطب، 1997، ص3703-3704.(

إنّ الآيات الكريمة السابقة قد تضمّنت صورة بيانيّة جديدة، لم يُذكر مثلها فيما مضى من الصُّوَر، وتشبيه بديع آخر، يشبّه حال الموتى من المشركين عند خروجهم من الأجداث يوم الحساب، بحالهم عند قيامهم إلى آلهتهم التي عبدوها في الدنيا من دون الله ــ تعالى ــ، فهم كانوا ينشطون في خدمة أصنامهم، فيقومون إليها مسرعين مُهَرْولين، متسابقين في إرضائها ــ على زعمهم ــ، فها هم الآن قد خرجوا من أجداثهم، لا إلى أصنامهم، ليقدموا لها ولاءهم وطاعتهم، ولكن إلى ربهم، لينالوا جزاءَهم على كفْرهم وتكذيبهم، هذا ومما يجب أنْ يُلتفتَ إليه في تلك الآيات الكريمة الفعل المضارع{يَخرجونَ{، إذ إنه يصوِّر خروجهم كأنه يجري الآن في وقت الإخبار عنهم، وإنهم ليخرجون في ذلٍّ ومهانة، وقد غطاهم الذل من أسفل أقدامهم إلى أعلى رؤوسهم.

ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون به على ألسنة الرُّسُل، فيُكذّبون به، قد صار حقيقة واقعة، لا يملكون أمامه أيّ شيء، نسأل الله السلامة.

الخاتمة وأهم النتائج

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، الحمد لله وحده، الذي أعانني على الكتابة في هذا الموضوع، وقد خرجْتُ من هذا البحث بعدة نتائج أوجزها بالآتي:

1. ورد ذِكر كلمة(القبور) ومشتقاتها في القرآن الكريم في سياق هُمُودِ الموتى وعدم حركتهم أو سماعهم، أمّا كلمة(الأجداث) فقد وردت في سياق الحديثِ عن البعث، ووصْفِ حركة الموتى عند خروجهم من تلك الأجداث، وقد بيّن الباحث ارتباط ذلك بأصل الوضع اللغويّ للكلمتين، وهذا يؤكّد دقّة القرآن الكريم في استعمال الألفاظ في مواقعها، وأنّه لا ترادف بينها.

2. إنَّ تعدُّد الآيات في وصْف حال موتى الكافرين عند الخروج من أجداثهم، يبيّن تآلف الآيات في عرْض معالم الصورة البيانية من جميع جوانبها عند خروجهم، فهم يخرجون ينسِلون سراعًا، كأنهم وَثَبُوا إلى طواغيتهم، لعبادتها من دون الله، والحقيقة أنهم أُخرجوا لعرضهم على ربهم ليحاسبهم، وقد غطاهم الذُّل، وَعَلَتْهُمُ المهانة.

3. لم يَرد استعمال كلمة(رقد) ومشتقاتها في القرآن الكريم إلاّ في سياق سرعة انقضاء الوقت، ولم تستعمل إلاّ في موضعين، الأول: في قوله تعالى:}وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ{ الآية (الكهف/18)، والثاني: قوله تعالى:}قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا{ الآية(يس/٥٢)، والأول جاء في سياق الإخبار عن فتية أهل الكهف، ورقودُهم وإنْ دام ثلاثمئة وتسع سنين إلاّ أنهم لم يُدركوا طول تلك المدة، فقد قال بعضهم: لبثنا يومًا أو بعض يوم، وبعضهم أَوْكَلَ عِلْمَ ذلك إلى الله تعالى، قال تعالى:}وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ{ الآية(الكهف/19)، فإخبار الله تعالى عن الحال التي كانوا عليها أنها حال الرقود، واعتقادهم بأنّ رقودهم لم يدُم طويلاً يشير إلى أنّ الراقد لا يُدرك الوقت، سواء كان الرقود في حال النوم أو الموت، قال تعالى:} قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (112) قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ (113) قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ{(114) (المؤمنون).

4. لاحظ الباحث أنّ أكثر كلمة اتسعت دلالاتها في التصوير البيانيّ لخروج موتى الكافرين هي كلمة}مُهْطِعِينَ{، قال تعالى:}مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ{ (القمر/8)، وقد توسّع اللُّغويّون والمُفَسّرون في معناها، فذكروا أنها تبيّن أنّ موتى الكافرين يخرجون من قبورهم مسرعين مادِّي أعناقهم، مُحَدِّقين بعيونهم بشدَّة نحوَ الداعي الذي يدعوهم إلى الحساب، قابضين ما بين أعينهم، فاتحين آذانهم إلى صوته، وليس هناك ما يدلّ على تخصيص بعض تلك المعاني دون بعض، فكُلّها محتَمَلة.

Abstract

Graphic images of the disbelievers leaving their ancestors in the Holy Qur'an, an objective study

By Jamal Abdel Rahim Saleh Abu Rumman

In the Holy Quran, Allah Almighty told us certain truths, don't change, and from those facts the truth of death so he told us that every breath will die, and he will hold all crreatures to account on the day of judgment, the author showed the rhetorical images about the conditions of the unbelievers death, and explain how they vary In the Holy Quran, and the benefits of that diversity.

Keywords: graphic image, rhetoric, ancestors.

رومنة المراجع باللغة الإنجليزية:

--Abu Al-Saud, (1994 AD), Guiding the Right Mind to the Advantages of the Noble Book, by the Judge Imam Abu Al-Saud Muhammad bin Muhammad Al-Emadi.

-Al-Alusi, (1985 AD), The Spirit of Meanings in the Interpretation of the Great Qur'an and the Seven Repetitions, by Abu Al-Fadl Shihab Al-Din Mahmoud Al-Alusi, House of Revival of Arab Heritage, Beirut, Lebanon, 4th edition,

-Al-Harawi, , (1991 AD), Ma'ani Alkirat, Muhammad bin Ahmed bin Al-Azhari Al-Harawi, Abu Mansour, T.D., Research Center at the College of Arts, King Saud University, Saudi Arabia.

--Al-Jaziri, (2013 AD), Jurisprudence on the Four Schools, Abdul Rahman bin Muhammad Awad Al-Jaziri-.

-Al-Khatib, The Qur'anic Interpretation of the Qur'an, Sheikh Abdul Karim Younis Al-Khatib, Dar Al-Fikr Al-Arabi, Cairo, no publication date.

--Al-Maraghi, Tafsir Al-Maraghi, Ahmed bin Mustafa

-Al-Mawardi, Annokat walouen, Abu Al-Hasan Ali bin Muhammad bin Muhammad bin Habib Al-Basri Al-Baghdadi, Dar Al-Kutub Al-Ilmia, Beirut, Lebanon.

-Al-Midani, Arabic Rhetoric, Abdul Rahman bin Hassan Habanka Al-Maydani Al-Dimashqi, Dar Al-Qalam, Damascus, (1996 AD).

--Al-Qazwini, (1988 AD) Clarification in the Sciences of Rhetoric, by Sheikh Abu Abdullah Muhammad bin Abdul.

-Al-Qushayri, Latif Al-Asharat, Abdul Karim bin Hawazin bin Abdul-Malik, T. Ibrahim Al-Basiouni, Egyptian General Book Organization, no date of publication.

-Al-Sabouni, , (1997 AD), Safwat Al-Tafasir, Sheikh Muhammad Ali Al-Sabouni. (2021 AD) - may God have mercy on him - Dar Al-Sabouni for printing, publishing and distribution, Cairo.

-Al-Tabari, , (2000 AD), Jami' al-Bayan fi Interpretation of the Qur'an, Imam Abu Ja'far Muhammad ibn Jarir al-Tabari .

--Al-Zamakhshari, The Scout on the Facts of the Revelation and the Eyes of -Gossip in the Faces of Interpretation, Abu al-Qasim Mahmoud bin Amr bin Ahmad, al-Zamakhshari Jarallah, Dar al-Kitab al-Arabi, Beirut, (1403 AH.(

-Al-Zarkashi, (1988 AD), Alborhan fee oloom Al_Qur'an, by Imam Badr Al-Din Muhammad bin Abdullah, Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, Dar Al-Jeel, Beirut, Lebanon.

-Dr. Ahmed Mukhtar, Dictionary of Contemporary Arabic Language-.2008،

--Dr. Muhammad Muhammad Abu Musa, (2006 AD), Graphic Illustration, Publisher: Wahba Library, Cairo, 6th edition.

-Dr. Muhammad Yas Al-Douri, (2006 AD), dkaek alfrook allogawiah felbyan alqur'ani, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, Lebanon.
-Ibn Adel, (1998 AD), The Door in the Sciences of the Book, Abu Hafs Sirajuddin Omar, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, Lebanon..
-Ibn al-Jawzi, (1422 AH) The Path to Exegesis, Jamal al-Din Abu al-Faraj, Abd al-Rahman bin Ali bin Muhammad al-Jawzi.
--Ibn Ashour, (1984 AD), Editing the Right Meaning and Enlightening the New Mind from the Exegesis of the Glorious.
--Ibn Attia, Al-Wajeez Editor in the Interpretation of the Aziz Book .1993
-Ibn Faris, moajam mkaies allogah, Abu Al-Hussein Ahmed bin Faris bin Zakaria, Dar Al-Fikr, Beirut, Lebanon, no date of publication.
-Al-Jurjani, (1983 AD), attariefat, Ali bin Muhammad bin Ali Al-Zain Al-Sharif Al-Jerjani.
-Ibn Katheer, , (1991AD), Interpretation of the Great Qur'an, Dar Al-Khair, Beirut, Lebanon.
-Ibn Manzur, Lisan al-Arab, subject (Bain), Muhammad bin Makram bin Ali, Abu al-Fadl, (1414AH), Jamal al-Din Ibn Manzur al-Ansari al-Ruwaifa'i al-Afriqi, Dar Sader, Beirut.
--Imam Al-Qurtubi, (1996 AD), The Collector of the Rulings of the Qur'an, by Abu Abdullah Muhammad bin Ahmed Al-Ansari Al-Qurtubi-.
--Imam Al-Razi, (1420 AH), The Great Interpretation or Keys to the Unseen, by Abu Abdullah Muhammad bin Omar.
-Imam al-Tirmidhi, Sunan al-Imam al-Tirmidhi, chapter on what came in the matter of images, (1975 AD) Muhammad bin Issa bin Surah bin Musa bin Al-Dahhak, Al-Tirmidhi, Abu Issa.
Muslim, Sahih Al-Imam Muslim, House of Revival of Arab Heritage -- Beirut, no printed date..
-Prof.Dr. Fadel Al-Samarrai, (2012 AD) Qur'anic Expression, Dar Ammar, Amman, Jordan, 8th edition.
-Ibn Khuzaimah, Sahih Ibn Khuzaimah, (1411 AH) by Abu Bakr Muhammad Ibn Ishaq Ibn Khuzaimah Ibn al-Mughirah Ibn Salih Ibn Bakr al-Sulami al-Naysaburi.
--Sayyid Qutb, (1412 AH) In the Shadows of the Qur'an, Dar Al-Shorouk, Beirut, Cairo, 17th edition.

المصادر والمراجع:

ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير ، محمد بن محمد بن محمد بن يوسف ابن الجزري (ت 833 هـ) ــ رحمه الله ــ بلا ت ط، النشر في القراءات العشر، ، ت علي محمد الضباع (ت1380هـ) ــ رحمه الله ــ ،جـ1 ، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية.
ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)، 1422هـ، زاد المسير في علم التفسير، ت عبد الرزاق المهدي، ، ط1، بيروت، دار الكتاب العربي.
ابن جزي، محمد بن أحمد الغرناطي (ت792هـ)، 1995م، التسهيل لعلوم التنزيل، دار الفكر، بيروت، لبنان.
ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (ت 311هـ) ــ رحمه الله ــ ، بلا ت ط، صحيح ابن خزيمة، ت/ د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت.
ابن زنجلة، عبد الرحمن بن محمد، أبي زرعة ابن زنجلة (ت حوالي 403هـ) ــ رحمه الله ــ، بلا ت ط حجة القراءات، ت سعيد الأفغاني، دار الرسالة.
ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: 458هـ) ــ رحمه الله ــ،1421 هـ ، 2000م ، المحكم والمحيط الأعظم، ت عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1،.
ابن عادل ، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت 775هـ) ــ رحمه الله ــ ،1419 هـ، 1998م. اللباب في علوم الكتاب، ط1، ت الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،
ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر(ت1973م)، 2005م، التحرير والتنوير، ط16، دار سحنون، تونس،

ابن عطية، أبو عبد الرحمن عبد الحق بن أبي بكر الأندلسي(ت542هـ)، 2005م، المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان،.

ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريّا(ت395هـ) ــ رحمه الله ــ ، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر، بيروت، لبنان، بلا ت ط.

ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر(ت774هـ)، 1991م، تفسير القرآن العظيم، دار الخير، بيروت، لبنان، ط2.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن على بن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت711هـ) ــ رحمه الله ــ ،1414هـ، لسان العرب، دار صادر، بيروت،.

أبو السعود، محمد بن محمد العمادي(ت 951هـ) ــ رحمه الله ــ ،1994م، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبيان، ط4.

أبو حيّان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت745هـ) ــ رحمه الله ــ ،1420 هـ، البحر المحيط في التفسير ، ت صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت.

أبو زرعة، عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله بن صفوان النصري المشهور بأبي زرعة الدمشقي الملقب بشيخ الشباب (ت 281هـ) ــ رحمه الله ــ ، تاريخ أبي زرعة الدمشقي، رواية: أبي الميمون بن راشد، ت شكر الله نعمة الله القوجاني ، مجمع اللغة العربية، دمشق، بلا ت ط.

أبو شامة، أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة (ت665هـ) ــ رحمه الله ــ ، إبراز المعاني من حرز الأماني، دار الكتب العلمية، بلا ت ط.

الأشموني، أحمد بن محمد الأشموني، من علماء القرن الحادي عشر الهجري ، منار الهدى في بيان الوقف والابتدا، ، ت شريف العدوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1.

الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم، المعروف بالراغب(ت502هـ)، 2000م، المفردات في غريب القرآن، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

الآلوسي، أبو الفضل شهاب الدين محمود الآلوسي(ت 1270هـ) ــ رحمه الله ــ ،1985م، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط4.

البخاري، محمد بن إسماعيل أبي عبدالله البخاري الجعفي(ت 256هـ) ــ رحمه الله ــ ،1422هـ، صحيح البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وسننه وأيامه، ت محمد الناصر،دار طوق النجاة، ط1.

الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ)، 1395 هـ ، 1975م، سنن الإمام الترمذي، ت أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ 4، 5)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2.

الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت 816هـ) ــ رحمه الله ــ ،1403هـ ،1983م، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1.

الحاكم، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري (المتوفى: 405هـ)، المستدرك على الصحيحين، ت مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1411هـ.

الخطيب، عبد الكريم يونس الخطيب(ت بعد 1390هـ) ــ رحمه الله ــ ، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، بلا ت ط .

الدرويش، محيي الدين، 2014م إعراب القرآن الكريم وبيانه، دار ابن كثير، بيروت، لبنان، ط12.

الدليمي، خلف، 2009م الكوارث الطبيعية والحدّ من آثارها، دار صفاء، عمّان، ط1.

الدوري، محمد ياس خضر،2006م، دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1،.

الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن، فخر الدين(ت606هـ)، ، 1417هـ ، 1997م، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، ط2.

الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزَّبيدي (ت1205هـ) ــ رحمه الله ــ، تاج العروس من جواهر القاموس، ت مجموعة من المحققين، دار الهداية، بلا ت ط ولا د ن(ولا دار نشر).
الزركشيّ، بدر الدين محمد بن عبد الله(ت794هـ) ــ رحمه الله ــ ، 1988م البرهان في علوم القرآن، ت محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، لبنان.
الزمخشريّ، جار الله، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، لبنان، ط1، 1417هـ ، 1997م.
السامرائي، فاضل صالح، لمسات بيانية، برنامج تلفزيونيٌّ على قناة الشارقة الفضائية، من خلال(اليوتيوب).
سيبويه، أبو البشر عمرو بن عثمان بن قنبر(ت180 هـ) ــ رحمه الله ــ ، كتاب سيبويه، ت عبد السلام محمد هارون، دار الجيل ــ بيروت.
الشربيني، شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت 977هـ) ــ رحمه الله ــ، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، دار الكتب العلمية ــ بيروت، بلا ت ط .
الشوكاني، محمد بن علي الشوكاني(ت 1250هـ) ــ رحمه الله ــ ، فتح القدير الجامع بين فنيّ الرواية والدراية من علم التفسير، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2014م.
الصابوني، محمد علي الصابوني(ت2021/3/19م) ــ رحمه الله ــ ، صفوة التفاسير، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1417 هـ، 1997م.
الصاحب بن عباد، إسماعيل بن عباد بن العباس، أبو القاسم الطالقاني، المشهور بالصاحب بن عباد (ت 385هـ) ــ رحمه الله ــ ، المحيط في اللغة، بلا ت ط، ولا د ن(ولا دار نشر).
الصنعاني، محمد بن إسماعيل الصنعاني(ت1182هـ) ــ رحمه الله ــ ، تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد، ت عبد المحسن البدر، مطبعة سفير، الرياض، ط1، 1424هـ .
الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير(ت310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1418هـ ، 1997م.
عمر، أحمد مختار عبد الحميد(ت 1424هـ) ــ رحمه الله ــ ، 1429هـ ، 2008م معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط1.
الفراهيديٌّ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت170هـ) ــ رحمه الله ــ، كتاب العين، ت د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بلا ت ط .
القزويني، أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبي المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (ت 739هـ) ــ رحمه الله ــ ، 1988م، الإيضاح في علوم البلاغة، دار إحياء العلوم،، بيروت، لبنان، ط1.
القشيريّ، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيريّ (ت 465هـ) ــ رحمه الله ــ ، لطائف الإشارات، ت إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، بلا ت ط .
قطب، سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي، استشهد في 1966/8/29م، 1997م في ظلال القرآن، دار الشروق، ط17.
الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت 450هـ) ــ رحمه الله ــ ، بلا ت ط، النكت والعيون، ت السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
الميداني، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (ت 1425هـ) ــ رحمه الله ــ، 1416 هـ، 1996 م البلاغة العربية، دار القلم، دمشق، ط1.
النيسابوريّ، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت 850هـ) ــ رحمه الله ــ ، 1416هـ غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ت الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلميه ، بيروت، ط1.
الهروي، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت 370هـ) ــ رحمه الله ــ ، 1412 هـ، 1991 م معاني القراءات، ت مركز البحوث في كلية الآداب، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، ط1.